بعد رفضه الانضمام إلى 'بيت الشيعة: هل يجسد مقتدى الصدر شخصية 'المهدي'؟

07-6-2004

ولكن الصدر جدد رفضه الانضمام للبيت الشيعي. وربما كان هذا يخفى وراءه رغبة في التمايز والحفاظ على شعبيته المتزايدة في الأوساط الشيعية، وخاصة في مدينة الصدر المكتظة بالسكان الشيعة، وفي النجف والكوفة، فضلاً عن رغبته في عدم الخضوع لسيطرة أعضاء البيت الشيعي، وما قد يفرضونه عليه من مطالب لا يريدها مثل الخروج من المراقد المقدسة وخاصة مرقد الإمام

بقلم عبدالله صالح

مواد ذات علاقة

الشيعة يفشلون 'ثورة الصدر'!.

شكل الزعيم الشيعي العراقي مقتدى الصدر، ومسلحو جيش المهدي التابع له، مشكلة دائمة أمام الاحتلال الذي تقوده الولايات المتحدة، حيث تزعم مؤيدوه انتفاضة مسلحة في جنوب العراق منذ أوائل شهر أبريل الماضي، وقد حاول الأمريكيون القضاء على تلك المقاومة التي تتركز في كربلاء والكوفة والنجف. ولكنهم فشلوا في ذلك. وعلى الجانب السياسي، دارت مفاوضات معقدة بين عدد من الزعماء الشيعة الذين طلب منهم التدخل لكبح جماح الصدر وتابعيه. ورغم إبرام اتفاق للهدنة بين قوات المهدى وجيش الاحتلال، فإن رموز التيار الصدري يؤكدون أن ما اتفق عليه من هدنة تقتصر على الأماكن المقدسة فقط، ومازالت الأوضاع والاستعدادات العسكرية في الكوفة والنجف تشير إلى أنهم يتصرفون وكأنهم في معركة أو على باب معركة أخرى مع قوات الاحتلال.

وقد أثارت مواقف الصدر، التي تبدو أحياناً متناقضة، كثيراً من الجدل في العراق وخارجه ففي بعض التصريحات يعلن أن جيش المهدي ليس مسلحاً، وفي تصريحات أخرى يعلن أنه مسلح لحماية المواقع الدينية، وتارة يهاجم الأحزاب الشيعية الأخرى وفي أحيان أخرى يعلن استعداده للقائهم والحوار معهم وتوحيد الصف الشيعي. وفي الوقت الذي يتحدث فيه عن التقريب بين السنة والشيعة لحماية الوحدة الدينية في العراق، فإن أتباعه يهاجمون مساجد للسنة ويستولون عليها.

وقد استقبل المجتمع الشيعي في العراق دخول القوات الأميركية بترقب حذر أو باعتراض سلمي، وكان مقتدى الصدر جزءا من دعاة المقاومة السلمية، ولكنه توجه نحو المقاومة المسلحة عقب إطلاق القوات الأميركية النار على المتظاهرين المعترضين على إقفال صحيفة الحوزة الناطقة باسم التيار الصدري. وقد أحرج موقف مقتدى الصدر هذا القوى الشيعية الأخرى التي تراهن على قدرة المقاومة السلمية والسياسية على إخراج القوات الأميركية من العراق ولو بعد حين، وهو ما أدى إلى اختلافات عميقة جعلت مقتدى الصدر وأنصاره في جهة، وبقية الأطراف الشيعية في جهة أخرى، ولكن هذا لم يمنع الجميع من بذل الجهد للخروج برؤية موحدة ولو بالحد الأدنى.

والقوات الأميركية التي تخوض حربا دائمة ضد جيش المهدي على يقين أن جيش المهدي استدرج إلى حرب غير متكافئة، وهو بالفعل تكبد خسائر كبيرة. ويبدو أن سياسة التيار الصدري تعتمد على تنشيط عمل جيش المهدي في مدينة الصدر المكتظة، بينما يفتح أبوابه لمبادرات تحييد الأماكن المقدسة في النجف والكوفة على أن لا يخسر وجوده فيهما، ويؤكد ذلك الانفلات الأخير للعمليات العسكرية التي تكثفت في مدينة الصدر برغم كل جهود التهدئة في النجف والكوفة.

ولاشك أن مقتدى الصدر بدخوله في مواجهة القوات الأميركية أصبح يواجه مأزقاً صعباً يفرض عليه ضرورة الاستعداد تنظيميا وقتالياً للمرحلة القادمة من المواجهة، خاصة في ظل المتغيرات الجديدة التي تحكم الواقع العراقي، ولكن يبدو أن أنصار الصدر يحاولون كسب الوقت بانتظار تسليم السلطة للعراقيين كي يعيدوا تكييف نشاطهم وخطابهم مع الواقع الجديد.

ويسعى الصدر لإنهاء الاحتلال الأميركي ويعارض أي تعاون معه، وقد هاجم الولايات المتحدة مؤخراً فى إحدى خطبه، واصفا إياها بالشيطان الأكبر. وبينما أكد نجاح قواته المعروفة بجيش المهدي في المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال المدججة بشتى أنواع الأسلحة، فقد أعرب عن استعداد أنصاره للحرب السلمية لطرد المحتل، مشيرا إلى أن أنصاره أثبتوا في الجبهتين المذكورتين قدرة على مواجهة المحتل، كما شن الصدر هجوما عنيفا ضد الحكومة العراقية الجديدة برئاسة إياد علاوي، معلناً تبرؤه منها لكونها "غير شرعية"، وطالب بحكومة منتخبة وديمقراطية تمثل الشعب العراقي وانتماءه الديني، مؤكداً أن الشعب وحده هو المخول الوحيد لاختيار مرشحيه.وقد طال الهجوم مبعوث الأمم المتحدة الخاص الأخضر الإبراهيمي وتساءل عمن منحه أحقية تعيين حكومة للعراقيين.

ومن جانب آخر فقد أعلن الصدر رفضه الانضمام للبيت الشيعي الذي تشرف عليه المرجعية الشيعية، ويضم الأحزاب الشيعية وبعض المستقلين، وهو أشبه بواجهة سياسية غير رسمية، أنشئت مؤخراً لإحداث توازن مع هيئة العلماء المسلمين السنية التي تحاول الخروج بقرارات موحدة داخل البيت السني. ولكن الصدر رفض الانضمام إليه وبرر رفضه بعدم رغبته في تولى أي منصب سياسي،

فضلاً عن عدم اقتناعه بتأسيس بيت للشيعة، فالأجدر وفقا له أن يتم تأسيس بيت لكافة المسلمين أيا كان مذهبهم.
وقد حاول بعض ممثلى بيت الشيعة خلال الأيام الماضية القيام بوساطة لحل الأزمة بين التيار الصدري وقوات الاحتلال، ويبدو أن المحادثات قد تركزت على موضوع الكوفة والنجف في محاولة لوقف الاشتباكات المتكررة في الأماكن المقدسة.كما جددوا الدعوة له بالانضمام للبيت الشيعى.وتأتي أهمية هذه الخطوة من أنها شكلت اعترافا بقوة الصدر حيث زاروه في دار ضيافة مرقد علي بن أبي طالب الذي يقع تحت سيطرته، كما قدموا له براءة من انتهاك الهدنة مع الأميركيين التي أعلن الالتزام بها، في حين حملوا القوات الأميركية مسؤولية انتهاكها.
ولكن الصدر جدد رفضه الانضمام للبيت الشيعي. وربما كان هذا يخفى وراءه رغبة في التمايز والحفاظ على شعبيته المتزايدة في الأوساط الشيعية، وخاصة في مدينة الصدر المكتظة بالسكان الشيعة، وفي النجف والكوفة، فضلاً عن رغبته في عدم الخضوع لسيطرة أعضاء البيت الشيعي، وما قد يفرضونه عليه من مطالب لا يريدها مثل الخروج من المراقد المقدسة وخاصة مرقد الإمام على بن أبى طالب في النجف..والسؤال المطروح في النهاية..ماذا يريد مقتدى الصدر... هل يسعى لأن يجعل من نفسه المهدى المنتظر، أم يريد أن يصبح أميراً للمؤمنين في القرن إلحادي والعشرين.